دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | التحليل اللّغوي للأدب |
| المصدر: | الحصاد في اللغة والأدب - الكويت |
| المؤلف الرئيسي: | حسان، تمام |
| المجلد/العدد: | مج 1, ع 1 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1981 |
| الشهر: | يوليو |
| الصفحات: | 12 - 23 |
| رقم MD: | 131305 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | HumanIndex |
| مواضيع: | الشعر، الأدب العربي، اللّغة العربية، التحليل اللغوي للأدب، البلاغة، الإيقاع في الشعر، وزن الشعر، التفعيلات، التوازن، الصور الشعرية، التراث الأدبي، فقهاء اللغة، النقد الحديث، النحويون، الموسيقى، الجرْس، الإحساس، الوسائل الفنية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/131305 |

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# التحليل اللغوي للأدب

الدكتور تمام حسان

الادب شكل ومضمون او صورة ودلالة او مبنى ومعنى أو رسالة وفحوى أو قل ان شئت اثارة واستجابة · ثم ان الشكل الادبي لا يأتي الا في صورة لغوية على حين يأتي المضمون الادبي في هيئة الافكار والاخيلة والاحساسات التي يحاول الاديب ان يسخرها لغاياته الفنية التي تتمثل في احداث آثار خاصة في نفس سامعه أو قارئه · واذا كانت الصورة الادبية صورة لغويةفان لغة الادب لا بد ان تقوم على دعامتين :

**أ ـ الصحة التي ينبغي ان تؤدي الى الافهام وأمن اللبس ·**
**ب ـ الجمال الذي لا بد منه كوسيلة تستخدمللوصول الى غايات فنية ·**

والصحة اللغوية ـ أو الصواب ان شئت ـ تتدفق من منابع العرف · فالمجتمع يتعارف على تفاصيل العناصر اللغوية بدءا بالاصوات فالمقاطع فالنبر فالتنغيم فمعاني المفردات وصورها فطرق تركيب الجمل منها وتخصيص نمط معين لكل جملة ونسبة معنى نحوى اليها وربطها بمقام خاص وانتهاء باختلاف الاساليب في بيان المعنى الواحد كأن يكون الدعاء بالجملة الطلبية نحو اللهم ارحمني أو بالجملة الخبرية الفعلية نحو بارك الله فيك أو الاسمية نحو الله يحفظك وكالنفي بالجملة المنفية نحو لا تلد الحية الا حية أو الاستفهام نحو هل تلد الحية الا حيةفكل ذلك مما يتعارف عليه المجتمع ويرتبط به الصواب اللغوي · اما الجمال اللغوي فمداره على الذوق لا على العرف واذا كان العرف من عمل المجتمع ومن ثم يقع فيحوزة الدراسات الاجتماعة ، فان الذوق من الملكات الفردية ، ومن ثم يقع في حوزة الدراسات النفسية على رغم ما نسمعه احيانا من عبارات مثل عبارة «الذوق العام» ونحوها · واذا استطعنا ان نعرف جانب الصواب اللغوي في النص الادبي من خلال البحث اللغوي في هذا النص « فلا ينبغي لطالب اللغة ان يطمح في بيان القيم الجمالية للأدب من خلال البحث اللغوي أكثر مما يمكن للقيم العظيمة للموسيقى أن تشرح ببساطة من خلال النظر الفاحص في درجات السلم الموسيقى · ولكن الادب ليس أقل في الطابع اللغوي من المخاطبة العادية ومن ثم يكون موضوعا من موضوعات البحث اللغوي حتى لو رأى بعضهم ان التحليل اللغوي لقصيدة ما نوع من الالحاد » · (١)

ومعنى هذا أن ثمة نقدا لغويا للأدب (٢) لا يقل قيمة عن الاتجاهات النقدية الاخرى كالنقد في ضوء المثل الخلقية أو علم النفسأو القيم الاجتماعة او الجمالية او في ضوء الاسطورة ونحوها (٣) · ويشهد تاريخ البلاغة العربية أن هذا النقد اللغوي للأدب لم يكن بعيدا عن تصور أسلافنا ولا عن نقدهم العملي للنصوص ·

دعنا اذا نلق نظرة على الجانب الصوتي من التحليل اللغوي للأدب وهو جانب يبدو في أوضح صوره في الادب المنطوق ( لان الصوت بحكم تسميته منطوق ) فاذا كان

لهذا الجانب أي انطباق على الادب المكتوب ( كتراثنا الادبي ) فان هذا الانطباق ينبني على تصور هذا الادب منطوقا، وأول مـــا يصادفنا من هذا الجانب جانب التآلف بين الاصوات المتجاورة في النص الادبي ·

ولقد كان اهتمام النقاد العرب بضد هذا التآلف وهو الذي سموه « التنافر » ، ولم يرد الاهتمام بتحليل هذا التآلف في عمـل النقاد او البلاغيين لانشغالهم بالتنبيه الـى التنافر ، ولكن فقهاء اللغة هم الذين حاولوا التنظير لتآلف الاصوات في النطق كما نلمح ذلك في محاولات السبكى في عروس الافراح والسيوطى في المزهر (٤) اذ نـــرى تقسيما لمخارج الاصوات الى مجموعـــات ثلاث تسمى المخارج الدنيا والمخارج الوسطـــى والمخارج القصوى ، ونصل في النهاية الـى نتيجة تقول ان أفصح الكـــلام ( اي أكثره انسجام حروف ) ما اشتمل علـــى أصوله الثلاثة مفرقة بين هذه المجموعات الثلاث على اي ترتيب ، وتقل الفصاحة كلمـــا تقاربـت المخارج (٥) حتى ننتهي عند اتحاد المخرج في الاصوات المتجاورة الى التنافر الصوتي ·

وما لنا نلتمس التنظير « للتآلف » فـــي اقوال فقهاء اللغة فقط ثم ننسى الجهد الرائع الذي بذله النحاة في هذا المجال · فحيـــن احكم النحاة القول في القياس جعلوا لـــه اركانا اربعـــة هي الاصل والفرع والعلة والحكم · ولما تكلموا في العلل جعلوها اربعا وعشرين وعدوا من بينها علة الاستخفاف وهي الوجه العربي لما يعرف في علم اللغة الحديث باسم « الاقتصاد في الجهد » وتأتي عنها مـا اشرنا اليه من « التآلـــف » الذي يعرف في النقد الحديث باسم euphony وهو ضد التنافر الذي يسمونه cacophony وفي سبيل الوصول الى الخفـــة جاءت اهم الظواهر الصوتية في نطاق الصرف كالادغام والاعلال بالنقل او بالقلب او الحذف والابدال في صوره المختلفة ·

واذا كانت طبيعة النظر في فقه اللغة تأبى القواعد المضبوطة وتقف عنـــد الملاحظات الموضوعية فان الصرفيين قـــد أخضعوا ظواهر الاستخفاف المشار اليها لقواعد غاية في الدقة تـــرد كل شيء الى أصل وضعه المجرد الذي نسبه اليـــه النحويون · فلما ثقل عندهم فـــي النطق أن يقولوا سماو وبناى وحمرا قالوا سماء وبناء وحمراء ولما ثقل عليهم ان يقولوا قاول وبايع عنـــد قصد اسم الفاعل قالوا قائل وبائـــع وفي خطائى قالوا خطايا وفي مطايو قالوا مطايا وفي هرائو هراوى وفـــي مصتفى مصطفى وفي مزتهر مزدهر الخ وانما خطر ببالهم عند التنظير ان الانتقال من الاصل ( وهو مجرد في الذهن ) الى الصورة المنطوقة انما كان سعيا الى « التآلف » بين الاصوات المتجاورة وهو تآلف يأتي عن الاستخفاف والعـــزوف عن الثقل · غير أن عمل الصرفيين هـــذا لا ينصب على التحليل اللغوي للأدب بخصوصه وانما يتصل بالتحليل اللغـــوي للاستعمال بمفهومه العام · ومعنى هذا أن صنيع فقهاء اللغة الذي اشرنا اليه قبـــل ذلك اقرب الـى جهود النقاد من صنيع الصرفيين ·

والصورة الثانية للجانب الصوتي فـي التحليل اللغوي للأدب ما عرفه اليونانيون باسم onomatopocia وتناوله طلاب فقه اللغة تحت عنـــوان « المحاكاة » أو دلالة الصوت على المعنى بعد أن لاحظوا هـــذه الظاهرة في كلمات مثل الخريـــر والفحيح والحفيف والزئير ودلالة القاف والطاء فـي كلمات مثل قط وقطع وقطم الخ ·وقد لاحظوا في هذه الامثلة ونحوهـــا أن دلالة الكلمة تتجاوز معناها المعجمي العرفي الذي نسب

اليها في أصل الاستعمال ثم تتجاوز أيضا ما قد يفهم منها بالمجاز عند آستعمالها في ذلك ، وتبلغ دلالة الكلمة شأوا تصبح بها اصواتها موحية بمعناها الاصلي ،شأنها في ذلك شأن دلالة النغمة الموسيقية على معنى خاص كالخفة أو الطرب أو الحزن الى غير ذلك مما تقوم فيه العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول مقام العلاقة العرفية · ولقد حاول الرمزيون الفرنسيون أن يتوسعوا في استعمال هذه العلاقة الطبيعية على حساب العلاقة العرفية فأباحوا في الشعر أن يعول الشاعر على ايحاء اللفظ أولا واستغلال الغموض الذي يحيط بهذا الايحاء لخلق تأثير نفسي بالشعر لا يوصل اليه بواسطة المعاني الاصلية العرفية · وذلك غموض يشبه ما يحيط بتفسير أثر النغمة الموسيقية في النفس اذ لا يمكن لسامع الموسيقى أن يقول انني طربت بسبب كذا أو ان طربي كان من نوع انفعال كذا وكذا · ولنا ملاحظة أخيرة على ظاهرة المحاكاة هي أن الدور الذي تقوم به المحاكاة دائما هو تقوية المعنى العرفي للكلمة فلو تعارضا لما لاحظ أحد دورا يمكن ان تقوم به المحاكاة ، ولو فرضنا ان الجيم والميم واللام ذات ايحاء خاص لما استطعنا أن نقرر أنها توحي بالجمل أو بالجمال أوبالجملة · والامر الثاني ان الكلمات التي لوحظت فيها ظاهرة المحاكاة محدودة العدد في اللغة · والامر الثالث أن ما يسمونه الكلمات الشعرية ربما سمي كذلك بسبب ما فيه من تآلف الاصوات أو بسبب ما فيه من المحاكاة ·

وربما كان التآلف والمحاكاة أهم العناصر فيما يسمونه « الجرس » في التحليل اللغوي للأدب ، غير أن مفهوم الجرس أوسع من مجرد تآلف الاصوات أو محاكاتها للمعنى · ففي الجرس فوق ذلك طاقة الاسماع في الكلمة عند ارادة الاسماع، وخاصية الهمس عند ارادة النجوى وانسجام اللفظ مع بيئته الصوتية في النص الادبي انسجاما يتعدى مجرد التآلف بين حرف وحرف الى سهولة جريان النص على اللسان سلسا عذبا في الاذن حبيبا الى النفس · ولنا أن نلاحظ الصلة الوثيقة بين فكرة الاقتصاد في الجهد التي كانت وراء ظواهر الادغام والاعلال والابدال والتآلف اذ ينطبق هذا الاقتصاد على الجانب العضوي للاستعمال وهو النطق ، وبين فكرة العذوبة في الاذن وهي تنطبق على الجانب السمعي للاستعمال اذ نرى هاتين الفكرتين متكاملتين تتعاونان على الوصول الى جرس لغوي مناسب للأدب ·

**والايقاع** أعم من ان يكون وزنا في الشعر أو توازنا في الصور الاخرى من الاستعمال وهو مما يتناوله التحليل اللغوي للأدب · والمراد بالايقاع ما يشمل النبر والتنغيم كليهما في الاستعمال · واذا كان النبر هو الموضوع النسبي لمقطع الكلام اذا قورن بما يجاوره من مقاطع فان تحليل هذا النبر يبدأ ببنية المفردات قبل أن يوجه الملاحظة للكلام وهذا شبيه بسبق التحليل الصرفي للمفردات على التحليل النحوى للسياق فاذا نظرنا الى مفردات الايقاع في الشعر وجدنا التفعيلات الاتية : ـ

| | |
|---|---|
| **١ ـ فعولن** | ويقع النبر فيها على واو المد |
| **٢ ـ فاعلن** | ويقع النبر فيها على الف المد |
| **٣ ـ فاعلاتن** | ويقع النبر فيها على الف المد في « علا » |
| **٤ ـ مفاعيلن** | ويقع النبر فيها على ياء المد |
| **٥ ـ مفاعلتن** | ويقع النبر فيها على فتحه العين |
| **٦ ـ مستفعلن** | ويقع النبر فيها على فتحة التاء |

٧ ـ متفاعلن ويقع النبر فيها على الف المد
٨ ـ مفعولات وفيها نبران ، اولهما ثانوي يقع على فتحة الميم والثاني يقع على الف المد في « لا »

ولكن هذا النبر لا يبقى في بيت الشعر على صورته التـــي نسبناها اليه هنـــا لسببين : ـ

١ ـ ما يصيب هذه التفعيلات من زحاف أو علة اذ يتغير تركيب التفعيلية ويتغير من ثم مكان النبر ٠

ب ـ ان الشعر ليس مكونا من هذه التفعيلات التي جردها العروضيون تجريدا ذهنيا ، وانما هو مؤلف من سياق لغوي ذى معنـى وهذا المعنى تعبر عنـــه مفردات قد تختلف بنياتها عن بنيات هذه التفعيلات ويختلف نبرها عن نبرها احيانا حينما يتطلبه المبنى او المعنى ٠ ولعل أوضح حالة يتطابق فيها نبر التفعيلات ونبر السياق في الشعر هي حالة انشاد الشعر ( اقول انشـادالشعـر واقصـد الانشاد الموقـع لا الغناء التطريبي الذي قد تعلو فيه اعتبـارات النغم على اعتبارات الايقاع فتطول الحركة ويقصر المد الخ ) ٠

وتقوم فكرة الايقاع والاحساس به فـــي الشعر على انتظام المسافات بين المقاطـــع المنبورة بحيث يقوم بين كل من المقطعيـــن المنبورين عدد من المقاطع غيـــر المنبورة لا يكاد يختلف في احدى شطرتي البيت عنـه في الاخرى ٠ فان اختلف اختلافـــا طفيفا خضع ذلك للقاعدة وانسجم مع الذوق ٠

وفي النثر ايقاع لا تنتظم فيه المسافات ولكنها تتقارب في طولها وهيئتها واذا قلنا : « النثر » فانما نضع ذلك في مقابل الشعـر ولكن للنثر انواعا وطرقا متعددة تختلف في صورها ومطالبها ولكنها تتحد فـــي ثلاثة أمور :(٦)

١ ـ اختيار الكلمات المناسبة لنقل المضمون من المرسل الى المستقبل ٠

ب ـ ترتيب هـــذه المفردات بحسب الشروط التركيبية النحوية ٠

جـ ـ اختيار الوسائل الفنيـــة الموصلة الى مزيد من الوضوح والرشاقة في التعبير ٠ ومنها الايقاع الذي يعتمد علـــى النبر والتنغيم كما سبق ويعتمد ايضا علـى المحسنات اللفظية (٧) كالطباق والمقابلـــة ونحوها ويعتمد كذلك على القافية فـي الشعر وعلى السجعة في النثر ٠ وحسبنا ما اشرنا اليه من مظاهـــر الجانب الصوتي في التحليل اللغوي للأدب فلنحول اهتمامنا اذا الى جانب اخر من هـذا التحليل ٠

ذلك هو جانب الكلمة المفردة ٠ وأول مـا يرد على البال من مشكلات التحليل علـى مستوى الكلمة مشكلة الحريـــة والالتزام ٠ والمقصود بالالتزام هنا الحرص على الطابع العرفي للكلمات واستعمال الكلمات بصورها واوضاعها التي توارثناهـــا عليها كما ان المقصود بالحرية أن يكون للمتكلم اختيار بين استصحاب الصورة العرفية للكلمة او تعديل او تحريف في صورتها (٨) ٠

لقد رأينا الرجاز والشعراء ذوى السليقة يرتجلون ويتصرفون فـــي صور الكلمات ورأينا لذلك شواهد من أرجازهم واشعارهم نحو :

**تقاعس العز بنا فما تقاعسنـا**
**الحمد للـــه العلي الاجـــلل**
**اخيل برقا متى حاب لـه زجل**
**اذا يفتر من تومضه حلجا**

حتى في القرآن نجد هذه الظاهـــرة في نحو :

**« والتين والزيتون وطورسينين » اي سيناء « وابراهيم وميكال » اي ميكائيل**
**« سلام على الياسين » اي الياس « تأخذهم وهم يخِصّمون » اي يختصمون**

فهل هـــــذا من ميزات الفصحاء ذوي السليفة او من رخص الادباء قديما وحديثا ؟ تلك قضية ما تزال بحاجة الى حكم وجيه ·

والامر الثاني مما يتصل بالكلمة امـــر المعنى · والمعروف ان اللغة نظام اقتصادي من حيث انه يعبر بالمتناهي من الالفاظ عـن غير المتناهي من المعاني فاذا كانت الالفاظ محصورة وكانت المعاني مستعصية علـــى الحصر فلا بد ان تكون الكلمة المفردة صالحة للتعبير عن عدد من المعاني ومن هنا يصبـح المعنى المعجمي للكلمـــــة عرضة للتعدد والاحتمال ، فأما التعدد فيتضح اذا بحثت عن الكلمة في المعجم اذ ترى لها عددا من المعاني ويندر ان تجد كلمة مفردة ذات معنى واحد لاتتعداه ، واما الاحتمال فان هـــذه المعاني المتعددة لا تنسب جميعا الى الكلمة في وقت واحد وانما تصلح الكلمة حال افرادها لكل واحد من هذه المعاني على وجه الاحتمال ولا يتعين أحد هذه المعاني لها الا بمعونة السياق اذ توضع الكلمة في نطـــاق الجملة فتعين القرائن السياقية ( حالية كانت أم مقالية ) على تحديد أحد معانيها لها ·

والمعاني على انواع (٩) فمنها المعنـــى الحقيقي نحو هؤلاء اشتروا الطعـــام بدينار والمجازى نحـــو « اولئك اشتروا الضلالـةبالهدى » والفرق بينهمـــا ان الشراء الاول يتسم بعلاقة عرفية بين الدال والمدلول ولكن الشراء الثاني يهدر العلاقة ويستبدل بها علاقة أخرى فنية · ومنهـــا المعنى البؤرى الذي يمثله التقديم والتأخير والتوكيد كما في الفرق بين كسر زيد الزجـــــاج وكسر الزجاج زيد وزيد كسر الزجاج والزجـاج كسره زيد وان زيدا كسر الزجاج الخ حيث نرى بؤرة الاهتمام من كلمة الى أخرى ومنها المعنى العكسي او كما يسميه الاصوليون مفهوم المخالفة كما في قولك للكسول : انـا لست كسولا فيكون عكس ذلك : أنت كسول· ومنها طائفة من المعاني الاستدعائية كالمعنى اللازم الذي يسمى « البعيد » في الكنايـــــةوكالمعنى الاسلوبي الذي يفهم من المحيـــط الاجتماعي للاستعمال كأن ننسب الاستعمال الى الاسلوب العلمي أو الادبي أو العملـي ومنها المعنى الافصاحي الذي يفهم مـــن الاحساسات والمواقف التي تكون للمتكلم أو الكاتب كالذي نفهمه من لفظ الشباب « مـن قول الشاعر : « الا ليت الشباب يعود يوما » فليس معنى الشباب هنا مجرد حداثة السن بل يضاف اليها الفتوة ولذة العيش والاحلام الوردية وما يتعلق بها من انفعالات · ومنها المعنى التواردى الذي يفهم من خلال مـــا يصلح من الكلمات أن يرد مع كلمة بعينهـا فاذا قلت : « الرؤوم » انصرف المعنى الى الام دون غيرها لان الوصف لا ينطبـــق الا عليها ومن ثم تصبح كلمة الام هي منـــاط

التوارد مع كلمة « الرؤوم » وهنـــاك معان أخرى غير هذه يضيق المقام عن ايرادها ·

ومن مشكلات التحليل اللغوي للكلمة في الادب مشكلة مكونات المعنـــى وهي ترتبط ارتباطا وثيقا باختلاف استعمالات الكلمة بين الحقيقة والمجاز · ولنضرب مثلا بآخر كلمة وردت في حديثنا وهي كلمـــة : « الام » · وعناصر الام من نوعين (١٠)

أ ـ نوع يقتضيه المعنى فلا يتحقق الا بـــه وهو الانوثة والبلوغ والحمل والولادة وفارق السن بينها وبين المولود فاذا تخلف اي عنصر من هذه العناصر ضاع معنـــى « الام » لان الام لا تكون ذكرا أو طفلة ولا خلوا من الحمل ذات يوم ولا غير والدة ولا أصغر من وليدها أو في مثل سنه ·

ب ـ ونوع اخر يستلزمه اللفظ ولكنـــه لا يقتضيه فيرد على الخاطر عند ذكر الام ولكن الامومة قد تتحقق بدونه ومن ذلـــك الزواج والارضاع والحنان أو حضانـــة وليدها فقد تكون الام أما بلا زواج وقد لا ترضع الام ولدها ولا تعطف عليه ولا تكون حاضنة له ·

وكلا النوعين ( نـوع الاقتضاء ونـــوع اللزوم ) صالح أن يقوم المجاز على عناصره باعتبارها أوجه شبه فـــرادى أو مجتمعة · ففي قوله تعالى : « لتنذر أم القرى » يـدور المجاز على فارق السن لان مكة أقدم ممـــا حولها من القرى · وفي عبارة « الخمر أم الكبائر » يدور المجاز علـــى الولادة لان الكبائر تتولد معاقرة الخمر · وهذا هـــو المحور الذي اختاره الشافعي رضي الله عنه حين اطلق على كتابه عنوان « الام » وعنـد اختيار أحد هـــذه المحاور لانشاء المجاز يتناسى المرء ما عداه فكأنه غير قائم فاذا جعلت زيدا أسدا أدرت ذلك على الشجاعة وأهملت البهيمية والوحشية والافتـــراس والمشي على اربع والبخر الذي فـــي تنفسه وكونه من أسرة القطط الخ · فاذا تعارض محوران من محاور المعنى أمكـــن أن تقوم عليهما التعمية كأن يقال فـــي رجل ما انه « حجاج » القرن العشرين » فلا يدري عندئذ ان كان المقصود أنه كالحجاج في حزمه أو كالحجاج في ظلمه وطغيانه وسفكه للـدم أو غير ذلك من مكونـــات معنى كلمـــة « الحجاج » ·

وليست مشكلات المعنى قاصرة عند هـذا الحد فهناك ايضا مشكلة القرب والبعد فـي المعنى · اذ قد يكون للكلمة معنيان يصلـــح كل منهما لان يراد بها ولكن أحدهما مطابقي والثاني لزومي ، عندئذ نسمي المطابقي قريبا واللزومي بعيدا كحين نصف رجلا بأنـــه عريض القفا فيكون ذلـــك صالحا لارادة الحقيقة ولارادة الكناية عما يلزم من عرض القفا وهو الغباء ( وليس من الضروري أن يكون ذلك لازما بالطبع اذ قد يلزم بالعـرف أو العادة ) · والقرب والبعد هـــو المحور الذي تقوم عليه التورية ( واحد المعنيين فيها أوضح من الثاني ) والاستخدام ( المعنيان فيه أحدهما للفظ والثانـــي لضميره ) والتوجيه أو الايهام ( ويكون احد المعنيين فيه اقرب بواسطة القرينـــة الحالية ) · وحسبنا ما سقناه من التحليل على مستوى الكلمة ولنوجه اهتمامنا الى التحليل اللغوي للأدب على مستوى النحو ·

اللغة وسيلة الاتصال بين الناس ومن ثم يلزم في معناها الصواب وفي معناها الافادة وأمن اللبس وفي سبيل الوصول الى الصواب أنشأت اللغة للجمل انماطا تركيبية عرفيـــة وأوضاعا خاصة حتى لقد رأينا بعض النحاة يعرف الكلام بأنـــه « اللفظ المركب المفيد بالوضع » اي بحكم النمط التركيبي المحدد لكل جملة من الجمل كالجملـــة الاسمية

والفعلية والخبرية والانشائية والمثبتة والمنفية والمؤكدة والاستفهامية وجملة الامر والنهي والعرض والتحضيض والشرط الخ · فلكل واحدة من هذه الجمل وضعها ونمطها الذي يرتبط به صوابها وتترتب عليه فائدتها · ويرتكز هذا النمط في لغتنا العربية على جملة من القرائن اللفظية كالبنية والاعراب والمطابقة والربط والرتبة والتضام والاداة والنغمة وهذه القرائن هي قرائن المعنى اى أنها السبب الرابط بين « الوضع » أو النمط وبين « الفائدة » ·

ولكن اوضاع اللغة قد يشبه بعضها بعضا فيفتقر المعنى الى القرائن المعنوية والى القرائن الحالية ايضا · وهذا الشبه بين الانماط التركيبية هو الذي يجعل التركيب صالحا لتحليلين مختلفين ( أو لاعرابين كما يقول النحاة ) فيقال : « فيه وجهان » ولبيان افتقار التركيب الى القرينة المعنوية أسوق اليك عبارة :

**« زيد الشاعر يأتي الشعر على لسانه عفوا »**

فنحن بحاجة الى اختيار واحدة من قرينتين معنويتين عند تحديد العلاقة بين « زيد »و « الشاعر » هما الاسناد او التبعية فان كانت الاسناد فما يليها استئناف وان كانت التبعية فما يليها خبر · ولعل الذي يعيننا على اختيار احدى هاتين القرينتين هو المقام في عمومه وعنصر من عناصره يمكن ان نتخذه قرينة حالية · فان كان المقام مفاضلة بين زيد وغيره من الشعراء فذلك دليل على الاسناد وارادة القصر فكأنك تقول : « ليس الشاعر الا زيدا » وان كان المقام تعدادا لمناقب زيد فذلك التبعية ·

دعنا اذا نسق أنواعا من الانماط التي تؤدي الى اللبس ويحتاج الامر معها الى القرينة الحالية لتحديد المعنى :

١ ـ قد يصلح الوصف للمضاف وللمضاف اليه في وقت معا نحو :
كنت أقرأ في دار الكتب المصرية
٢ ـ قد تشتبه اضافة المصدر الى فاعله باضافته الى مفعوله نحو :
زيارة الاصدقاء تسعد النفس ( أنظر أيضا : انت اولى بالانصاف )
٣ ـ قد يصلح الضمير العائد لاكثر من مرجع نحو :
رجا التلميذ الاستاذ ان يعيد قراءة الفقرة ، « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه »
اخبر محمد عليا ان اباه قادم
٤ ـ قد يصلح اللفظ لعلاقة تربطه بسابقه وعلاقة أخرى تربطه بلاحقه نحو :
« ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون »
اذ ليس في التركيب ذاته ما يمنع لفظ «انفسهم» من أن يكون تأكيدا معنويا للناس ، أو مفعولا مقدما للفعل الذي بعده ·
٥ ـ قد يصلح المعطوف للعطف على عدد من الكلمات السابقة نحو :
الجمعية العامة لمنع المسكرات وتعاطي المخدرات ، وكذلك ذهبت الى ابناء زيد وعمرو ، فالتعاطي صالح للعطف على المنع وعلى المسكرات ويمكن أن يكون عمرو معطوفا على الابناء أو على زيد ؟
٦ ـ قد تصلح الاداة لاكثر من معنى وبخاصة اذا صلح ما بعدها لذلك ايضا نحو :
« وما انفقتم من شيء فهو يخلفه » ( صالحة للشرط والنفي )
« وما أعجلك عن قومك يا موسى » ( صالحة للاستفهام والتعجب )

٧ ـ قد تصلح الصيغة لمعنيين نحو :

« قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله » ( هل تقاسموا فعل ماض أو فعل أمر ؟ )

ويقال في ذلك في لفظ « أعجلك » فـــي الشاهد السابق اذ يصلح فعلا ماضيا وتعجبا

٨ ـ قد يتشابه المفعول الثاني لأرى بالمفعول المطلق أو نائبه نحو :

« اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ٠٠ »

فالتركيب بذاته صالح لمعنيين : يريكهم قليلين ، ويريكهم اراءة قليلة ٠

٩ ـ قد يتشابه الخبر والدعاء نحو : بارك الله له في ماله وولده

١٠ـ قد يتشابه العطف والمعية نحو : أحببت الزهر وحلول الربيع ٠

١١ـ قد يصلح الظرف والجار والمجرور لأن يتعلق بأكثر من متعلق في الجملة الواحدة نحو :

اشتريت مزرعة لزيد وكذلـــك مات المجاهد في سبيل وطنه

فالجار والمجرور الاول صالـــح للتعلق بالفعل وبمحذوف صفة للمزرعة ، والثاني صالح لـ « مات » ولـ « المجاهد » ٠

١٢ـ قد يصلح تكرار الموصول للدلالة علـى الواحد والمتعدد نحو :

**اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر**

فلا دلالة في التركيب على أن المقسم بـه واحد وانما تأتي الدلالة من امر خارجـــي ( قرينة حالية ) ٠

١٣ـ قد تصلح الحال لأكثر من صاحب في الجملة الواحدة نحو :

غادرته مقتنعا بخطئه ، فصاحب الحال قد يكون التاء او الهاء ( الفاعل او المفعول ) ٠

١٤ـ قد يتشابه العطف والقسم نحو : « والضحى والليل اذا سجى » ٠

موضع الشاهد « الليل » يصلح للعطف والقسم ٠

١٥ـ قد يتشابه المفعول به والمفعول فيه نحو : أحببت يوم الخميس

فقد يكون الحب واقفا علـــى محذوف واليوم ظرف زمان وقد يكون الحب واقعا على اليوم ٠

١٦ـ قد يتشابه مقول القـــول والاستئناف نحو :

« ولا يحزنك قولهم ان العزة للـــه جميعا »

كل ذلك يفتقر الى القرائن التي تحـــدد احد المعنيين دون الاخر وقـــد تكفلت تلك القرائن فعلا بتحديد معنى الشواهد القرآنية التي سقناها فوصلت بهذا المعنى الى أمـن اللبس وتحقق الفائـــدة ٠ والمسرح الذي تلتمس فيه القرائن دائما هو المقام في عمومه فقد يكون هذا المقام سبب نزول أو ملابسات قصص أو عنصرا من عناصر السياق الخ ٠

اما التحليل على مستوى القرائن اللفظية فهو رهن بشروط التركيب المتعلقة بكل قرينة ولعل شروط التضام (١١) او قرينة التضام هي أولى هذه الشروط بالكلام لأن التضام هو وصف الكلام او تركيب الجملة ، فبه يعرف ما يدخل على الكلمة وما يمتنع دخوله عليها وبه يعرف الافتقار والاستغناء وجـــواز الحذف والزيادة والفصل والقيود التي يتقيد بهـــا سلوك كل هذه الظواهر ٠

واذا كان التضام يأتي على صورة التلازم او التنافـــي أو التوارد فان شروط التضام تشمل كل واحدة من هذه الصور فاذا نظرنا الى الظـــروف « حيث » و « اذ » و « اذا » وجدناها جميعا تلزم الاضافة الى الجملـــة ولكن الاضافة في الأوليين مطلقة لانهما يمكن

دخولهما على الجملة الاسمية وعلى الجملة الفعلية أما « اذا » فاضافتها الى الجملة مقيدة لانها مشروطة بأن تكون الجملة فعلية للفرق بينها وبين اذا الفجائية التي تدخل على الجملة الآسمية · هذا مثال لشروط التلازم · اما مثال شروط التنافي فهو امتناع الاخبار بظروف الزمان عن المبتدأ المادي فيكون بينهما التنافى ولكن ذلك مشروط بعدم الافادة فاذا تحققت هذه الافادة فلا تنافى ولا امتناع · وأما شروط التوارد أو قيود التوارد » ان شئت فأساسها الملاءمة المعجمية بين مفردات الجملة بمعنى ان الفعل « قرأ » مثلا يتطلب فاعلا تصح منه القراءة ومفعولا تصدق عليه هذه القراءة · فلا يقال مثلا ( قرأ الحجر الطعام ) لأن الحجر لا يقرأ ولأن الطعام لا يكون مقروءا · دعنا نطبق هذا الكلام على ما يأتي : (١٢)

**١ ـ ضرب زيد عمرا**

**الفعل ضرب له قيود :**

**١ ـ الفعلية**

**ب ـ التعدية**

**جـ ـ فاعل يمكن منه الضرب**

**د ـ مفعول يصح أن يقع عليه الضرب**

**٢ ـ قد زيد عمرا**

المثال فاسد نحويا لاختلال القيدين ( أ ، ب )

**٣ ـ جلس زيد عمرا** المثال فاسد نحويا لاختلال القيد ( ب )

**٤ ـ اكل زيد عمرا**

المثال صواب بالنسبة للنحو ولكن فيه مشكلة من حيث الملاءمة المعجمية لأن زيدا لا يصح أن يأكل عمرا أكلا حقيقيا ولكن هذه المفارقة المعجمية بين عناصر التركيب يمكن تبريرها على مستوى الاسلوب اذ يمكن القول أن الاكل مجاز في غمط الحقوق اذ شبه الغمط بالأكل ثم حذف المشبه واقام المشبه بهمكانه ثم اشتق من الاكل « أكل » بمعنى «غمط الحق» على سبيل الاستعارة التبعية · وقد تكون المفارقة المعجمية على درجة من القوة في المباينة الى درجة يستعصى معها تبريرها على مستوى الأسلوب كالذي لاحظناه في المثال الذي سقناه منذ قليل وهو ( قرأ الحجر الطعام ) لأن ذلك لا يمكن تأويله بأي مجاز·

وهكذا نرى أن التحليل اللغوي على مستوى الصواب النحوي فقط قد يقنع بصواب ( قرأ الحجر الطعام ) لتحقق شروط التضام من الناحية الشكلية ولا يحكم المرء برفض هذا المثال الا على مستوى الملاءمة المعجمية المطلوب تحققها بين عناصر التركيب لأن هذا التركيب انتفت منه الملاءمة وحلت محلها المفارقة المعجمية المتمثلة في تنافر الكلمات بعضها مع بعض · وملاحظة هذه المفارقة المعجمية تبدو ذات فائدة كبرى فى معرفة المجاز من الحقيقة لأن قرينة المجاز دائما هي المفارقة المعجمية فاذا قلت : بنى الامير المدينة « وجدت ان هناك مفارقة معجمية بين « بنى » و « الامير » تعبر عنها بقولك : ان

الامير لا يبنى على الحقيقة ومن ثم يصبح التعبير مجازا وكذلك اذا قلت : وأسأل القرية لأن القرية لا تسأل على الحقيقة وانما تسأل على المجاز فقط · ولعل الذي يفرق بين القرينة والعلاقة في المجاز ان القرينة مفارقة معجمية وأن العلاقة استبدال رابطة فنية بين الدال والمدلول بالرابطة العرفية التي يسمونها المعنى الحقيقي فالقرينة تلحظ

في افتراق اللفظين والعلاقة تلحظ بين اللفظ الواحد ومدلوله واليك البيان :

« باعوا اخرتهم بدنياهم » ما دام المعنى : اطرحوا آخرتهم في نظير دنياهم فان موضع الاستعارة هو اللفظ الذي لحقه التغيير وهو « باعوا » الـــذي معناه « اطرحوا » وموضع الاستعارة هو مسـرح العلاقة بين الدال والمدلول

| الـــــدال | المدلـــــول |
|---|---|
| بـــاعـــوا | أطـــرحـــوا |

فاذا عرفنا أن المدلـــول الحقيقي للفظ « باعوا » هو مضى البيع عرفنا أن العلاقة بين « باعوا » وبين « مضى البيع » علاقـة عرفية وضعها المجتمع ومن ثم يصبح علينا أن نفسر العلاقة الاخرى التي في الاستعارة وهي العلاقة بين « باعوا » وبين « مضى الاطراح » او بعبارة أخـــرى « اطرحوا » وسنجد ان هذه العلاقة الاخرى علاقة فنية أنشأها المتكلم وحلت محل العلاقة العرفية السابقة ويفسرون ذلك بقولهم :

شبه الاطراح بالبيع ثم حـــذف المشبه ( الاطراح ) وأقام المشبه به ( البيع ) مقامه ثم اشتق من البيع « باعوا » بمعنى «اطرحوا» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية · تلك هي العلاقة وقد أمكن تفسيرها في حدود اللفظ الواحد وهو « باعوا » أما القرينة فأن الكشف عنها يتحقق بملاحظـــة المفارقة المعجمية بين لفظين هما « باعوا »و «آخرتهم» لان الاخرة ليست سلعة فتباع على الحقيقـة ومن ثم تصبح المفارقة قرينة على ارادة معنى آخر غير المعنى الحقيقي وذلك هـــو المعنى المجازى · وهكذا يمكن للغة ان تعبر بالمتناهى من الكلمات عن اللامتناهى من المعانى ·

هنا نصل الى التحليل اللغوي للأدب على مستوى الاسلوب · فما المقصود ؟ للاجابة على هذا السؤال أقول أنه اذا اتحد معنـى العبارتين وصح تركيبهما النحوى فان الفرق بينهما هو اختلاف الاسلوب · ذلك بأن اتحاد المعنى انما هو اتحاد للغاية فلم يبق مجـال لاختلافهما الا في الوسيلة والأسلوب وسيلة فردية للتعبير تمثل الاختيـــار الشخصي للمتكلم لطريقة بعينها من بين عدد من الطرق الممكنة للتعبير وهنا يقـــع الفرق بين فردية الاسلوب وعرفية التركيب النحوى ( النمط او الوضع ) فأحدهما ذاتي وليد الاختيـار والثاني موضوعي يخضع لقواعد الصناعة ·

ويبدأ التحليل الاسلوبي عندمـــا ينتهي التحليل النحوي ذلك بأن مجال النحو يمتد من الاصوات ووظائفها الى الجملة التامـــة المفيدة ثم يتوقف عنـــد الجملة الواحدة لا يتعداها الا الى علاقتها بجملة كبرى تعـد هذه الجملة داخلة في تركيبها كما تكـــون الحال في تركيب الشرط وفي صلة الموصول الخ او علاقتها بجملة موازنة لها فيربطهـــا الحرف كالعطف والاستدراك والاضراب الخ اما الاسلوب فانه يتخطى الجملة الى عنصر اكبر منها كالفقرة وطريقـــة الصياغة والعناصر الجمالية وترتيب الافكار وطريقة العرض ونوع اللهجة المختارة ( أسلوب أدبي أو علمي أو سوقي الخ )

وكما يمكن ان يتحقق التركيب النحوى مع العراء المطلق عن الفائدة ( فلا يكـــون للكلمات معنـــى معجمى ولا للتركيب معنى دلالى ) كما في :

**حنكف المستعص بسقاحته في الكمظ**

اذ يمكن لنا ان نعرب الجملة مع عرائها عن الافادة ، أو يتحقق هذا التركيب النحوى

مع العراء عن المعنى الدلالى ومع تحقق المعنى المعجمى للكلمات المفردة كقول المجنون بن حيذب :

محكوكة العينين معطاء القفا  كانما قدت على متن الصفا
ترنوا الى متن شراك اعجفا  كانما ينشر فيه مصحفا

أقول كما يمكن ذلك بالنسبة للتركيب النحوى يمكن للشكل الاسلوبي أن يتحقق والكلام عار عن الفائدة كالذي نراه فيما يلي :

« ان الذي يلمس صوت التاريخ ويتسلق صراخ الاحداث وما تنطوي عليه منهجيتها المسطحة لا بد أن تبهره أحلامها الواقعية وقواعدها الفلسفية التي تمزج في اردانها تاريخ الفلسفة بفلسفة التاريخ · ذلك بأن الانسان في تطوره الفيزيائي من خلال مورفولوجيا الحياة الاسرية كان وما يزال قائما بالقسط بين النية والارادة سواء في علاقاته مع الاخرين أو في استنشاقه لمفردات الظواهر · غير اننا اذا نظرنا الى المد السكونى في تاريخ الاسرة في ضوء الجزر الحركي لفلسفة وجودها علمنا أن لا جديد هناك في حقلي الملاحظة والتجربة وايقنا ان ما يشير اليه علم الاجتماع من استقامة المحيط وحلزونية القطر ربما أفضى لدى البعض الى حدس زمكانى الطابع · تلك بعض تهاويل ضوابط الذاتية في مقابل لبس الموضوعية وتلك لعمرك ومضة من الومضات الصاخبة في أفاتن الفكر لا يتذوقها الا ذوو الضمائر المستوفزة وأصحاب المغامرات التطلعية في دروب الوعي الثقافي · ولئن صاح العلماء بنجواهم منشدين الحمد لظواهر الطبيعة أن كشفت لهم عن مفاتنها فلن ينكر منكر بعد ذلك الاحلام من أقصر الطرق الى ترقيص قواعد العلم » ·

هذا أسلوب بلا مضمون ولا جمل مفيدة لأن النص ملىء بالمفارقات المعجمية التي لا يرأبها التأويل بالمجاز فهي مفارقات من نوع ما سبق من عبارة « قرأ الحجر الطعام » وليست شبيهة بما أشرنا اليه في عبارة « أكل زيد عمرا » · ومغزى ذلك أننا تمكنا بهذه الطريقة من عزل الاسلوب عما يلابسه من مضمون أو فائدة على نحو ما يعزل العلماء الفيروس عن بيئته الطبيعية بواسطة التحليل المعملي · وكما أمكن أن يعزل الاسلوب يمكن ايضا أن يعزل المضمون ولكن عزل المضمون لا يتم في نطاق اللغة وانما يتم في نطاق السيميولوجيا وفي دائرة ما نطلق عليه أحيانا « لسان الحال » في مقابل « لسان المقال » · فاحمرار الوجه له مضمون هو الخجل وصفرته لها مضمون هو المرض ولا تتعدى طرق التعبير بالحمرة ولا الصفرة لأنهما لا تخضعان للاختيار الفردي الذي هو أساس الاسلوب ومن ثم فلا اسلوب · كذلك يمكن أن يعزل الوزن عن المحيط الشعري وأن تعزل القافية وان يعزلا معا دون التراكيب النحوية وأن يعزلا ومعهما التراكيب النحوية دون الافادة ولا المضمون كما سبق في بيتى المجنون بن حيذب ·

وبعد فما الانطباع الذي لدينا حيال هذا الاسلوب الذي تقطعت فيه الوشائج العرفية بين التراكيب ومعانيها على رغم تحققها بين المفردات ودلالاتها · لعل اول انطباع يصل الى ادراكنا أن هذا الاسلوب يشبه القول في فلسفة العلوم الانسانية من تاريخ الى فلسفة الى اجتماع والانطباع الثاني أنه أسلوب أدبي أو متأدب على الاقل ·

وهذا الانطباع الثاني يعود الى ما يشتمل عليه هذا « النص » من ايحاءات الجرس الطبيعية التي هي شبيهة بما أشرنا اليه من قبل من ظاهرتي التاليف والمحاكاة وليست بعيدة الشبه عن النغمة الموسيقية من حيث تأثيرها في النفس · هي ايحاءات « تشم ولا

تفرك » أو قل ان شئت كمـــــا قال اسحق الموصلى « تحيط بها المعرفـــــة ولا تدركها الصفة » (١٣) · ولما كانت الصفة لا تدركها اضطر القدماء الى أن يغلفوا تصورهم لهذه الايحاءات في أغلفة المجاز فكانوا اذا أعجبهم أسلوب قالوا فيه : « حسن الديباجة ، قوى الأسر ، طلى العبارة ، محكم النسج · لـــه ماء ورونق » ولقد فقدت هـــــذه الكليشهات معناها على مر الزمن فاتهمنا القدماء ظلمـــا بالابتذال ولكن الخطأ في فهمنا نحن لمواقف القدماء وظروفهم ·

## المراجع


(1) Raymond Chapman, Linguistics and Literature, P. 6. quoted From Frank Palmer, Minnis, P.252.

(2) Wilfred L. Guerin and others, A Handbook of Critical Approaches to Literature, P.3
Geoffrey Leech, A Linguistic Guide to English Poetry.

(3) Wilber Scott, Five Approaches to Literary Criticism

( ٤ )السيوطى : المزهر ص ١١٥

( ٥ ) انظر مناقشة لملاحظات المزهر في كتابي : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠

(6) S. H. Burton, The Criticism of Prose, PP. 67-68.

( ٧ ) آسف لضيق المقام عن ايراد دراسة تطبيقية يتضح بها ما أريد بهذا الكلام ·

( ٨ ) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٣٧

(9) Geoffrey Leech, Semanties, P. 26.

( ١٠ ) تمام حسان : الاصول ( تحت الطبع )

( ١١ ) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢١٦ وما بعدها

(12) N. Chomsky, Aspects of The Theory of Syntax, PP. 148-163.

( ١٣ ) محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ص ١٠٢